

## أشكال التناسل في أدب الرحلة العربي رحلتا ابن جبير وابن بطوطة انموذجاً

المدرس المساعد صباح صالح ذنون

المديرية العامة لتربية محافظة البصرة

الأستاذ المساعد الدكتور مشتاق فالح عبيد

قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة البصرة

### المستخلص

يُعدّ التناسل (Intertextuality) من المفاهيم النقدية الحديثة التي أعادت النظر في علاقة النصوص ببعضها، ونسفت فكرة "الأصالة المطلقة" للنص الأدبي. فقد برز هذا المصطلح مع الناقدة الفرنسية (جوليا كريستيفا) في ستينيات القرن العشرين، متأثرة بأفكار (ميخائيل باختين)، حيث أكدت أن كل نص هو نسيج من تداخلات نصوص أخرى، سواء عن وعي من المؤلف أو بدونه. فالتناسل يشمل الاستشهاد، التلميح، المحاكاة، أو حتى المعارضة، مما يجعل النص فضاءً مفتوحاً لتعدد الأصوات والمعاني. ولا يقف التناسل عند حدود الاقتباس الظاهر، بل يتعداه إلى ما هو أعمق؛ حيث تتسلل الخطابات السابقة إلى النص الجديد، مكونة شبكة من العلاقات الثقافية والتاريخية والمعرفية. ولقد تم التركيز في هذه الدراسة على شكلين من التناسل في الرحلة: الأول التناسل الخارجي والثاني التناسل الداخلي.

**الكلمات المفتاحية:** التناسل ، الحوارية ، التداخل النصي ، التناسل الخارجي ، التناسل الداخلي.

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٨/٠٥

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٦/١١

---

## Forms of Intertextuality in Arabic Travel Literature: The Travels of Ibn Jubayr and Ibn Battuta as a Model

Assistant Lecturer Sabah Salih Dhannun

General Directorate of Education, Basra Governorate

Assistant Professor Dr. Mushtaq Falih 'Ubayd

Department of Arabic Language, College of Arts, University of Basra

### Abstract

Intertextuality is considered one of the modern critical concepts that has redefined the relationships between texts, challenging the notion of the “absolute originality” of literary works. The term emerged in the 1960s through the work of the French critic Julia Kristeva, influenced by the ideas of Mikhail Bakhtin, who emphasized that every text is a tapestry woven from the interplay of other texts, whether consciously or unconsciously. Intertextuality encompasses quotation, allusion, imitation, and even opposition, thereby rendering the text an open space for multiple voices and meanings.

Intertextuality is not limited to explicit citation; rather, it extends to deeper levels, where prior discourses permeate the new text, forming a network of cultural, historical, and intellectual relationships. This study focuses on two forms of intertextuality in travel literature: external intertextuality and internal intertextuality, as exemplified in the works of Ibn Jubayr and Ibn Battuta

**Keywords:** intertextuality, dialogism, textual overlap, external intertextuality, internal intertextuality.

Received: 11/06/2025

Accepted: 05/08/2025

## المقدمة

التناص، الحوارية، أو التعالق النصي، تعددت المصطلحات لمفهوم التناص، ولكن أي من هذه المصطلحات أسبق في الظهور، وأيهما كان الأساس الذي انطلق منه المفهوم؟

إن أول من قدم مصطلح التناص الناقد الفرنسية -البلاغية الأصل- (جوليا كريستفا) في منتصف القرن الماضي سنة ١٩٦٦ والتي نظرت له على سبيل التطوير لمفهوم الحوارية التي صاغها منظر الرواية الروسي (ميخائيل باختين)، لتحديد العلاقة بين النصوص الأدبية من حيث التداخل والتعالق مع بعضها البعض، أو العلاقة التي تحفظ ترابط العبارات الأدبية فيما بينها، فلا وجود للمفوض لا علاقة له بملفوظات أخرى سابقة له<sup>(١)</sup>.

لم تكن (كريستفا) مبتكرة للتناص وإنما عملت على تطوير ما جاء به (باختين) من أفكار في كتابه (شعرية دستوفسكي)، حيث قال بتعدد الأصوات في الرواية، وهذه الأصوات ما هي إلا نصوص أخرى تقاطعت مع روايات دستوفسكي، وهو ما أشار إليه (تودورف) في كتابه (ميخائيل باختين المبدأ الحوارية) في إشارته إلى حال التفاعل والتحاوور بين النصوص المختلفة، حين عرف الحوارية بأنها: ((علاقات دلالية بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي))<sup>(٢)</sup>. ويشير إلى أن كل ملفوظ لا يخلو من تناص لما نبه له (باختين) من أن كل خطاب لابد له على الأقل من فاعلين، مما يعني احتمالية حوار بينهما، حيث ((إن التوجيه الحوارية هو بوضوح ظاهرة مشخّصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته، ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي))<sup>(٣)</sup>.

ويعد (باختين) الرواية ظاهرة لغوية أساساً، وأن كل ملفوظ فيها يتشكل عبر شبكة من ملفوظات أخرى، ويُعد كل ملفوظٍ متشظٍ لعدم تجانسه باختلاف الألسن، وهذا التشظي يرجع إلى الحوار ففي كل كلمة يوجد بصمات صوت وكلام الآخر، وكل كلام متشظٍ ومخترق من قبل الآخرين، والرواية في نظر (باختين) أساساً حوارية بينما يكون الشعر مونولوجياً، لأن الرواية تحوي خاصية تشظي كل خطاب ذلك لأنها متعددة الأصوات ومتعددة اللغات، وتلك التعددية في الأصوات هي خاصية كل خطاب روائي. فالرواية هي من تجعل من الأنماط المختلفة للخطاب بالتحاوور والتعايش والتفاعل. والرواية حوارية لما ذكر وهجينة لأنها يمكن أن تضم معها أنواعاً مختلفة وغير متجانسة سواء كانت أدبية كالأشعار والقصص قصيرة وغيرها، أو كانت غير أدبية مثل دراسات أخلاقية، نصوص دينية أو علمية أو نصوص بلاغية<sup>(٤)</sup>.

إن مفهوم الحوارية وتعدد الأصوات هو المكوّن المركزي للتناص عند (كريستفا)<sup>(٥)</sup>، فالنص عندها هو جهاز وسيلته اللسان، يعيد توزيع نظام اللغة عبر الربط بين كلام تواصلية -هدفه الإخبار المباشر- وأنماط متعددة من الملفوظات سابقة له أو متزامنة معه، وهذا يعني أن النص يتصف بالإنتاجية. وإن هذه الإعادة في التوزيع ليس من الضروري أن تقع عبر المقولات اللسانية الخالصة، وإنما هي قابلة لأن تقع عبر المقولات المنطقية، وترى (كريستفا) أن النص هو ترحال للنصوص، وتداخل

للنصوص فيما بينها، ففي نص معين تتقاطع وتتنافي العديد من الملفوظات المقتطعة من نصوص أخرى<sup>(٦)</sup>. وهي تشبه النص بلوحة من الفسيفساء تجتمع فيه عدة اقتباسات من نصوص أخرى، تُعاد فيه النصوص بطريقة الهدم وإعادة البناء، أو التحويل والنفي، من هذه الأفكار تمكنت عملية التناص من تقويض وزعزعة البنيوية<sup>(٧)</sup>.

أما مفهوم (جيرار جينيت) للتناص فقد انطلق من تبني تصور جديد للشعرية عبر دراسته للمتعاليات النصية، والذي يجعل النص في علاقة مع نصوص أخرى سواء كانت تلك العلاقة ظاهرة أم مخفية<sup>(٨)</sup>، فالتناص إذن ما هو سوى علاقة نصية – متعالية من بين علاقات أخرى بالإضافة إلى ذلك هو مقارنة حصرية، لا تندرج فيها الأشكال الضمنية لإعادة الكتابة ولا ذكريات مهمة ولا علاقات الاشتقاق التي يمكن أن تحدث بين نصين. وقد تضمن التعالي النصي عنده خمسة أنماط من العلاقات التي تربط النصوص بعضها ببعض، والنمط الخامس هو ما أسماه بالتعالق النصي، الذي يحدد العلاقة التي تجمع بين نصين (النص اللاحق) و(النص السابق) وهي علاقة تضايف وليست تضميناً<sup>(٩)</sup>.

أما النقاد العرب فكان التناص عندهم يعني التعالق النصي (الدخول في علاقة) أي دخول نص معين حدث بكيفيات مختلفة مع نصوص أخرى<sup>(١٠)</sup>. وهو ما يشير إلى الارتباط الذي يستدعي التفاعل بين النصوص حيث استعمل سعيد يقطين مصطلح التفاعل النصي مرادفاً لمفهوم التناص، وقد فضل هذا المصطلح على غيره من الترجمات التي عُيّنت بهذا المفهوم<sup>(١١)</sup>، ويقول في سبب ايثاره للمصطلح: ((نؤثر استعمال (التفاعل النصي)؛ لأنه أعم من التناص، ونفضله على (التعاليات النصية التي هي مقابل (transtertualit) عند (جينيت) لدلالاتها الإيحائية البعيدة. فيما أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالق بها، ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات))<sup>(١٢)</sup> فوظيفة التناص عنده لا تتعلق بإعادة إنتاج النص بمادته الأولية المقتبسة دون تغير، وإنما يستلزم نقلها وتحويلها وتبديلها<sup>(١٣)</sup>.

وقد استعمل عبد الله الغدامي التداخل النصي حيث يقول: ((وتداخل النصوص يتم بين نص واحد من جهة ويقابله في الجهة الأخرى نصوص لا تحصى ..... ومعنى هذا أن كل إشارة في النص تستطيع أن تتوجه إلى نص أو نصوص أخرى غير ما قد تتوجه إليه زميلاتها في نفس النص . وذلك حسب قدرة كل واحدة منهن على الحركة))<sup>(١٤)</sup>. وهو يرى أن النص بنية كلية لبني داخلية، يتميز بالكلية في مرحلة إنتاجه، وبالحركية من حيث تحرك بنائه الداخلية لتكوين بنيته الوجودية التي تميزه عن النصوص الأخرى، فهو يرى النص من وجهة نظره للتفكيكية (( النص إذن يُصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن منسحبة من ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقات متشابكة من المحاوراة والتعارض والتنافس))<sup>(١٥)</sup>، وهذا يعني أن النص مشحون ومزدحم بكم من الإشارات التي تحيل إلى نصوص أخرى بعلائق تفاعلية تبادلية من حيث التأثير والتأثير.

### أشكال التناص.

يتخذ التناص شكلين على أساس العلائق الرابطة للنصوص هما: التناص الخارجي والتناص الداخلي أما الخارجي: فيعني العلاقة التي تربط النص المفرد اللاحق بالنصوص السابقة أو المتزامنة معه، سواء كانت تلك النصوص (أدبية أو غير أدبية،

لغوية كانت أم غير لغوية ) يعني علاقة النص بغيره من الفنون،<sup>(١٦)</sup> أو ما يسمى بالتناسل العام ويعني علاقة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب، والشكل الثاني التناسل الداخلي المقيد وهو علاقة ارتباط نصوص الكاتب بعضها ببعض<sup>(١٧)</sup> أو ارتباط الأجزاء المختلفة لنص الكاتب ببعضها، وترى سيزا قاسم نوعين في (التناسل الداخلي): الأول التكرار والتنغيم؛ وهو أن يكرر الكاتب عنصر مثل ما هو عليه دون تغير، أو مع تغير بسيط، أما النوع الثاني فأطلقت عليه تسمية الدوال المولدة وتعني به ظهور دال في موضوع ما من النص يتولد عنه مجموعة من الدوال الأخرى تنتشر في النص عن طريق الكناية والاستعارة<sup>(١٨)</sup>.

ويتخذ التناسل في أدب الرحلة أشكالاً أخرى وصوراً متنوعة تعكس تفاعل النص الرحلي مع مصادر متعددة: دينية، أدبية، لغوية، وتاريخية. أما فيما يمثله التناسل من حضور وأنواع سنيين امثلته في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، حيث إن للتناسل أثرًا في تشكل الرحلة بوصفها نصًا أدبيًا له سماته التي تميزه عن النصوص الأخرى، فنص الرحلة هو إعادة إنتاج لنصوص سابقة مشابهة له في السياق، فالنصوص السابقة تفرض هيمنتها على الرحالة، فلا يخرج عن قالبها التدويني شكلاً ومضموناً، وفيما يخص وظيفة التناسل في نص الرحلتين فقد تعدى حدود الزينة الأسلوبية أو مجرد الاستشهاد المرجعي، لتصبح أداة دلالية وثقافية تكشف عن موقف الرحّالة من العالم الذي يصفه.

أولاً: التناسل الخارجي أو العام.

لا يمكن للرحّالة أن ينطلق في رحلته دون معرفة مسبقة، وإن المعرفة في حد ذاتها هي تناسل مع معارف سابقة، فتراكم المعرفة يُبنى على ما تم تعلمه في السابق، وهو ترابط للأفكار والمعلومات بعضها البعض الآخر عبر الزمن مما يساهم في تعزيز الفهم والادراك لدى الرحّالة، فالاستفادة من تجارب الآخرين تعد مصدرًا من مصادر التعلم الذي يفيد منها الفرد في تجنب الأخطاء وتحقيق الغاية والأهداف المنشودة من الرحلة. يرسم شعيب حلفي النص الرحلي داخل دائرة فيها حقول معرفية وأجناس أدبية يتبأر فيها النص الرحلي متخذًا موقع المركز، ويتشابك ويتلاقح معها في علاقات حوارية، والدائرة ((مفتوحة على أشكال محتملة كالخطبة والأحلام والاستهجمات والتخيلات والحكي الاستبطاني والمقامة.... وكلها تعتمل، ظاهرة أو خفية في البنية العميقة للنص الرحلي:))<sup>(١٩)</sup>



فالشكل الدائري هذا يوضح تمركز نص الرحلة الذي يفتح على أشكال أخرى ويتفاعل معها، والدائرة غير مغلقة بل مفتوحة على احتمالات أخرى، فنص الرحلة كأني نص أدبي يتشابك ويتفاعل مع نصوص، فهو يزخر بالإشارات التي تُحيل إلى نصوص داخلية أو خارجية. وقد كثرت أمثلة التناسخ الخارجي للرحلة في العصر العباسي ويرجع ذلك للتطور والازدهار الثقافي والحضاري الذي شهده العصر، فكان لتدوين الرحلات أثر كبير في إثراء ثقافة الرحالة اللاحقين في تدوين رحلاتهم والافادة ممن سبقوهم في هذا المجال، وكذلك الافادة من كتب الأخبار والتاريخ ومن ذلك وصف ابن جبير لمغارة في جبل قاسيون التي تُعرف ب(مغارة الدم) فيذكر سبب تسميتها قائلًا: ((لأن فوقها في الجبل دم هابيل قتل أخيه قابيل، ابني آدم (ﷺ))، يتصل من نحو نصف الجبل إلى المغارة. وقد أبقي الله منه في الجبل آثارًا حمراء في الحجارة تحك فتستحيل، وهي كالطريق في الجبل، وتنقطع عند المغارة، وليس يوجد في النصف الأعلى من المغارة آثار تشبهها، فكان يقال أنها لون حجارة الجبل، وإنما هي من الموضع الذي جر منه القاتل لأخيه حيث قتله حتى انتهى إلى المغارة. وهي من آيات الله تعالى، وآياته لا تحصى. وقرأنا في تاريخ ابن المعلى الأسدي أن تلك المغارة صلى فيها إبراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب، عليهم وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام، وعليها مسجد قد أتقن بناؤه ويصعد إليه على أدراج، وهو كالغرفة المستديرة، وحولها أعواد مشرجة مطيفة بها، وبه بيوت ومرافق للسكنى، وهو يفتح كل يوم خميس والسر من الشمع والفتائل تقد في المغارة، وهي متسعة))<sup>(٢٠)</sup>.

كان للمعرفة المسبقة التي اكتسبها ابن جبير نتيجة اطلاعه على كتب التراث والتاريخ و الأخبار أثرٌ في تدوين رحلته وقد أشار لذلك بقوله: (قرأنا في تاريخ ابن المعلى الأسدي) فقد كان لتلك المعرفة أثر في تلقي الرحالة لرواية تلك المغارة وسبب تسميتها ب(مغارة الدم) والتي ساعدت في تصديقه لرواية الأحداث والتأكيد على وجودها الحقيقي بالمشاهدة الواقعية، فلم يتسرب الشك بوقوع أحداثها أو الإطار الجغرافي الذي ضمها.

وينقل ابن جبير -خبر جبل أبي قبيس في الحرم الشريف بمكة- من كتب الأخبار مثل كتاب (أخبار مكة لأبي الوليد الأزرق) حيث يقول: ((وقرأت في أخبار مكة لأبي الوليد الأزرق أنه أول جبل خلقه الله عز وجل، وفيه استودع الحجر زمن الطوفان، وكانت قريش تسميه الأمين لأنه أوى الحجر إلى إبراهيم (ﷺ))، وفيه قبر آدم (صلوات الله عليه)، وهو أحد أخشي مكة. والأخشب الثاني الجبل المتصل بقعيقعان في الجهة الغربية))<sup>(٢١)</sup>. وينقل عنه خبر آخر عن (جبل أبي ثور) فيقول: ((ومن الجبال التي فيها أثر كريم ومشهد عظيم الجبل المعروف «بأبي ثور»، وهو في الجهة اليمنى من مكة على مقدار فرسخ أو أزيد وفيه الغار الذي أوى إليه النبي (ﷺ) مع صاحبه الصديق (ﷺ))، حسبما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز وقرأت في كتاب أخبار مكة «لأبي الوليد الأزرق أن الجبل نادى النبي، فقال: «إلي يا محمد، إلي يا محمد، فقد آويت قبلك نبيا»))<sup>(٢٢)</sup>.

يتناص ابن جبير مع الأزرق بشكل واضح وصرح إذ يضمن نصه جزءاً من الخبر المذكور عن الجبل، فالخبر الأول عن الجبل وصفته وما ضمه من حدث خبر مؤكد يقيناً لأنه ذُكر في القرآن الكريم، وهو مصدر لا يختلف عليه اثنان، بينما الخبر الثاني والذي كان عبارة عن حكاية عن النبي الأكرم (ﷺ) فقد نقله من مصدر تاريخي لأنه غير مذكور في القرآن الكريم، وإن تكرار الرحالة للكتاب وكتابه دليل قيمته بوصفه مصدرًا من مصادر التاريخ الموثوقة وعلى أثره في نفس الرحالة. فوظيفة التناسخ

هنا توثيقية، فالتداخل مع النصوص التاريخية والسيرية يوحي بدقة الرواية وموثوقيتها، ويمنحها سلطة معرفية، خاصة في وصف المدن أو الطرق أو مقابر الصحابة. حيث إن ذكره تلك المواقع والأماكن، ومقارنتها بروايات التاريخ، يُظهر إحاطته بالمصادر التاريخية الإسلامية.

وقد تناص ابن جبير مع من سبقه من الرحالة مثل ابن حوقل والإدريسي في وصفه لأحوال مدينة صقلية، لكن العلائق التناسبية اختلفت مع الرحالتين، فابن حوقل كان قاسياً في وصفه لأهل صقلية حيث يقول فيهم: ((وأكثرت عنه وعن ابن مطر وجماعتهم واصفاً قلة فطنتهم وكلال أفهامهم وحدة جهلهم وسرعة طيشهم ، وموت يقظتهم وبراعة لؤمهم مع دوام غفلتهم وبشاعة تعاطيهم وكثرة معائبهم وسخف اغذيتهم المؤكدة جهلهم ، وسوء تخليهم في كتاب جعلته أبواباً عشرة .....، ووسمته بكتاب صقلية ولم أترك لهم من فضيلة ورذيلة الى جميع ما خصوا به ومنعوه وأعطوه وما حرموه، الى غلظ طباعهم وسوء أخلاقهم وما انفردوا به من المطاعم المنتنة والأعراض القذرة الدرنة، وغلبة كثرة الجفاء وطول المرءاء..... وحال الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الإسلام ولا نحلة من النحل، ولا في بلد من البلدان ولا بدعة من البدع ولا مشكلة النحلة في دين من الأديان. وهم المشعيذون أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم ، رأهم التزويج إلى النصارى على أن ما كان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشعمذين وما كانت من أنثى فنصرانية مع أمها، لا يصلون ولا يتطهرون ولا يزكون ولا يحجون . وفيهم من يصوم شهر رمضان ويغتسلون إذا صاموا من الجنابة ، وهذه منقبة لا يشركهم فيها أحد))<sup>(٢٣)</sup>.

فقد وصفهم ابن حوقل بقلة التسامح إضافة لغباؤهم وقلة عقولهم، بينما تناص ابن جبير معه فكانت العلاقة بين النصين علاقة تحطيم وتكسير وخلخلة للأفكار والمعاني، فجاء وصفه منافياً تماماً ومغايراً لما وصفهم به ابن حوقل، فقد وصفهم بالتسامح والتعايش السلمي فللمسلمين مساجدهم وللنصارى كنائسهم يمارسون عباداتهم بسلام، وقد أعجب بملكهم وتصرفه في شؤون بلاده بكل عدالة حيث يقول: ((وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة - واستعمال المسلمين، واتخاذ الفتيان المجاذيب - وكلهم أو أكثرهم كاتم إيمانه - متمسك بشريعة الإسلام - وهو كثير الثقة بالمسلمين، وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله، حتى أن الناظر في مطبخته رجل من المسلمين، وله جملة من العبيد السود المسلمين، وعليهم قائد منهم ووزراء وحجابه الفتيان، وله منه جملة كبيرة هم أهل دولته، والمرتسمون بخاصته، وعليهم يلوح رونق مملكته، لأنهم متسعون في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة، وما منهم إلا من له الحاشية والخول والاتباع))<sup>(٢٤)</sup>.

ويبدو أن تناص ابن جبير مع الإدريسي جاء تضييماً، فقد اتفق الرحالتان على حال التسامح والتعايش الذي ساد صقلية وحال ملكها المتصف بالعدالة حيث يقول فيه: ((ثم ورث الملك بعده ابنه الملك المعظم المسمى باسمه المقتضي أثر سننه رجار الثاني، فأقام الدولة وزين المملكة وشرف السلطنة وأعطى الأمور أقساطها من النظر الجلي، والفعل المرضي مع نشر العدل وإقامة الأمان والفضل، حتى انقادت الملوك إلى طاعته وعلموا بشعار مشايخته ومتابعته، وسلموا مقاليد بلادهم إليه وتواردوا من كل الجهات المعنية برغبتها في التفيؤ بأفياء مملكته والسكنى تحت ظلال أمنه ورحمته، وملكه لا يزيد على الأيام إلا رفعة وعلوا وشماخة وسموا إلى حين تأليفنا لكتابنا هذا))<sup>(٢٥)</sup>.

وفي شكل من التناص غير المعلن يتداخل نص ابن بطوطة مع القرآن الكريم في حكاية ينقلها عن الشيخ جمال الدين الذي اضطر إلى حلق لحيته وحاجبيه للتخلص من كيد امرأة راودته عن نفسه، فيقول في ذلك: ((يذكر أن السبب الداعي للشيخ جمال الدين الساي إلى حلق لحيته وحاجبيه إنه كان جميل الصورة حسن الوجه، فعلمت به امرأة من أهل سادة كانت تراسله وتعارضه في الطرق، وتدعوه لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فلما أعيأها أمره، دست له عجوز تصدت له إزاء دار على طريقه إلى المسجد وببداها كتاب مختوم فلما مر بها قالت له: أو سيدي أتحسن القراءة؟ قال: نعم قالت له هذا الكتاب وجهه إلى ولدي وأحب أن تقرأه فقال لها: نعم فلما فتح الكتاب قالت له أو سيدي إن لولدي زوجة بأسطوانة الدار فلو تفضلت بقراءتها بين بابي الدار بحيث تسمعها، فأجابها لذلك فلما توسط بين الأبواب غلقت العجوز الباب وخرجت المرأة وجواربها فتعلقن به وأدخلنه إلى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه فلما رأى أن لا خلاص له قال: لها إني حيث تريدني فأرني بيت الخلاء، فأرته إياه، فأدخل معه الماء وكان عنده موس حديد فحلق لحيته وحاجبيه وخرج عليه، فاستقبحت هيئته واستنكرت فعله أمرت بإخراجه وعصمه الله بذلك فبقى على هيئته فيما بعد وصارت كل من يسلك طريقته يحلق وحاجبيه))<sup>(٢٦)</sup>.

لقد تناص ابن بطوطة مع قصة من القرآن الكريم وهي قصة النبي يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسه، فقد تجلى التشابه بين القصتين في الحدث وفي المكان والشخصيات ومكر النساء، وحتى الألفاظ التي توحى بإغواء الرجل، وقد نُحِلْنَا هذه الحكاية إلى مصطلح التكرارية والذي يشترط ((إمكانية إعادة الإنتاج والتمثيل والاقْتِباس، وعليه فإن بداية كل شيء هي إمكانية إعادة عن إعادة، أو تمثيل (صورة) عن أصل هو مسبقاً صورة)، أو اقتطاف من اقتطاف. هذه الإمكانية لا بد أن تتسم بها جوهرياً كل المفاهيم والقضايا، وحدة كانت أو إشارة أو علاقة))<sup>(٢٧)</sup>.

إن محور الحكاية والحدث هو غواية النساء للرجال، فالمرأة متصفة بالكيد وهي صاحبة الغواية الأولى، إذ أنها أداة من أدوات الشيطان، فقد أغوت آدم (عليه السلام) وأخرجته من الجنة<sup>(٢٨)</sup> الفكرة واحدة لكن الأحداث تتغير وتتطور بتغير الزمان والمكان والأشخاص، والحكاية هنا تطورت عن الأصل -حكاية آدم (عليه السلام) مع حواء- إلى قصة يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز، إلى قصة الشيخ جمال الدين الساي، ففي الحكاية الأولى لم ينج الرجل من حباثل المرأة لكنه في الحكاية الثانية والثالثة نجا منها، لما رسبته الذاكرة الجمعية والحكاية المتكررة من وجوب الحذر من مكائد النساء. وكان التطور في قصة الشيخ جمال الدين أنه قابل خداع المرأة بحيلة حتى ينقذ نفسه، فما كان منه إلا أن حلق لحيته وحاجبيه.

ويُعد تناص ابن بطوطة مع ابن جبير في نص الرحلة تناصاً خارجياً ذلك أن رحلة ابن جبير في المشرق العربي هي نواة رحلة ابن بطوطة لما حوته نص رحلة الأخير من تناصات ظاهرة ومعلنة مع الأول، ونرجح السبب في ذلك لتصرف ابن جزي الذي شكل سلطة الكاتب في رحلة ابن بطوطة فقد كان يسد الفراغات والفجوات في بعض التفاصيل التي غابت عن ابن بطوطة في وصف الأماكن داخل الإطار الجغرافي الذي اشتركت فيه الرحلتان، والأمثلة كثيرة ومنها وصف الرحالتين لمدينة الكوفة، حيث يقول ابن جبير فيها: ((هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثر من العامر. ومن

أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي محيياً ومفنياً. وبناء هذه المدينة بالأجر خاصة، ولا سور لها))<sup>(٢٩)</sup>.

أظهر ابن جبير امتعاضه وأسفه لما حل بمدينة الكوفة التي تبدو من وصف الرحالة عراقها وحضارتها البادية في بنائها العتيق الذي امتدت إليه يد البداوة والهمجية بالتخريب على يد قبيلة خفاجة، ويشير إلى استمرار هذا العدوان ويعلل ذلك بأنه لا سور لها، لكن نص ابن جبير ليس بريئاً ذلك أنه يرسل إشارات لضعف السلطة وعدم قدرتها على إيقاف ذلك العدوان، فما يضمهر الرحالة من سبب استمرار الخراب هو ضعف السلطة الحاكمة وفقدانها المركزية الإدارية التي تؤهلها للحفاظ على تلك المدينة العريقة.

يتناص ابن بطوطة مع ابن جبير في وصف الكوفة مع اختلاف بعض التفاصيل، فابن بطوطة يرى أهمية المدينة لما فيها من منازل لعلماء الدين والصالحين ومشاهد ومرآد للصحابة والتابعين، والأهم من ذلك أن أهميتها مقرونة بأنها كانت حضرة الأمام علي (عليه السلام) وبقيت مشهداً لقبره الشريف، حيث يقول في ذلك: ((وهي إحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثنوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، إلا ان الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها، فأثمهم يقطعون طريقها ولا سور عليها وبنائها بالأجر، وأسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسك))<sup>(٣٠)</sup>.

إن النظرة العامة لكلا النصين تُشعر بحملهما الفكرة نفسها وهي الخراب الذي طال المدينة، لكن المتفحص لنص ابن بطوطة يستشعر أن عبارة التخريب التي أوردها ابن جبير وكانت محورية في نصه أُفحمت في نص ابن بطوطة، وشكلت جملة اعتراضية لا محل لها من المعنى، فنص ابن بطوطة أكثر براءة من نص ابن جبير، فالعبارة لا تتناسب مع رؤية الرحالة التي يجد الجمال في أسواقها، وأن المدينة من أمهات المدن العراقية ذات مركزية دينية وثقافية، فقد وجد فيها ابن بطوطة ما لم يجده ابن جبير. يبدو إن هذا الإقحام سببه ابن جزي الذي غالباً ما يميل لوصف ابن جبير.

ويكمل ابن بطوطة وصفه لأكبر وأعظم جوامع الكوفة، فيعطيها أكثر من صفة: كبير وعظيم وشريف، بينما يضيف إليه ابن جبير صفة واحدة وهي (العتيق) والتي لا تشعر بهيبة المكان وعظمتها كما صورها ابن بطوطة، ويستمر في الوصف الذي يتناص به مع ابن جبير حيث يقول: ((وجامعها الأعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً و وضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال: ان الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب على بن أبي طالب ﷺ وهنالكَ ضربه الشقي ابن ملجم))<sup>(٣١)</sup>.

انظر إلى وصف ابن جبير لجامع الكوفة، حيث تجد بعض الاختلاف في التصوير، فابن جبير أكثر دقة في ذكر التفاصيل، فيذكر أن له خمس بلاطات وفي الجوانب بلاطان فيقول في ذلك: ((والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق، وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان. وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسيّ عليها، على

الصفة الذي ذكرناها في مسجد رسول الله (ﷺ)، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في اختلاف ارتفاعها، فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه، ولا أعلى سقفاً. ولهذا الجامع المكرم آثار كريمة: فمنها بيت بإزاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال إنه كان مصلى إبراهيم الخليل (ﷺ)، وعليه ستر أسود صوتاً له، ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة، فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه))<sup>(٣٢)</sup>

إذا دقت في تصوير ابن جبير لهندسة بناء الجامع ترى النص ممتص لثقافة البناء مع ما جاء في القرآن الكريم من قصة ذي القرنين في بناء السد حيث أنه اتبع خطة هندسية خاص ليساوي بين حجارة الردم بإفراغ القطر بينها كما في قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] ويتناص ابن جبير مع نصوص رحلته والتي تشكل البنى الداخلية لنص الرحلة، كما في قوله: (على الصفة الذي ذكرناها في مسجد رسول الله (ﷺ)).

وإذا نظرنا إلى التفاصيل الأخرى لوصف مدينة الكوفة ترى الرحالتين في تكافؤ تام في نقل التفاصيل ومنها الموضع الذي فار به التنور والذي كان آية لنبي الله نوح (عليه السلام) ومكان متعبد نبي الله إدريس (عليه السلام)، ومكان إنشاء سفينة نوح (عليه السلام) وبيت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). ويشارك ابن بطوطة ابن جبير ألفاظ الشك والزعيم مثل (يقال) التي كثيراً ما استعملها ابن جبير ويقابلها ابن بطوطة بلفظ (يزعمون) وإسناد الأخبار الواردة لله تعالى في الفصل بصحتها، فيكرر ابن جبير عبارة ( والله أعلم بصحة ذلك)<sup>(٣٣)</sup> والموضع الثاني الذي تكررت فيه هو في وصفه لمشهد قبر الإمام علي (عليه السلام) والذي لم يدرك زيارته لحلول وقت رحيلهم من الكوفة، بينما ابن بطوطة ذكر تلك العبارة ولم يكررها. وكل هذا التشكيك هو لدفع شبهة نقل الأخبار الكاذبة عن الذات، ونحن نعتقد أن هذا التشكيك ليس عقلي بل هو عاطفي لامعنى له، لأن الرحالتين يخالفان مذهب الشيعة وينتصران للمذهب السني وهذا واضح في تجنب ابن بطوطة دخول مدينة يسكنها الروافض (الشيعة) ومن ذلك قوله: ((ثم رحلنا ونزلنا بئر ملاحه، وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلت بخارجها وكرهت دخولها لأن أهلها روافض، ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة))<sup>(٣٤)</sup>.

فقد تشابهت نظرتيما للأخر الشيعي والتأكيد على وصفه بالرافضي للخلاف المعروف بين المذهبين، ومنها قول ابن جبير: (( وقد سلت الله على هؤلاء الرافضة طائفة تعرف بالنبوية، سنيون يدينون بالفتوة))<sup>(٣٥)</sup> فالاتفاق الفكري والمذهبي بين كلا الرحالتين أدى لقبول ابن بطوطة لفكر ابن جبير مما جعله يتناص معه في محور الأفكار التي تدور حولها أغلب النصوص، فعلاقة النصوص علاقة محورية تدور حول محاور متشابهة، وأفكار متلاقحة مبنية على حال من الاتفاق.

قد تناص ابن بطوطة مع سابقه ابن جبير في وصف مدينة بغداد ومنها جانبها الغربي ويخص في وصفه قبور الصالحين والأولياء، ويشير إلى ذلك بقوله: ((الجانب الغربي منها هو الذي عُمر أولاً وهو الآن خراب أكثره، وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محله كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة، وفي ثمان منها المساجد الجامعة، ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور (رحمه الله) والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار، وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي (ﷺ) وهو في محلة باب

البصرة، وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب، وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا، وإلى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة<sup>(٣٦)</sup>.

لقد اتفق كلا الرحالتين على الخراب الذي طال مدينة بغداد بجانبها الشرقي والغربي، وما جاء به ابن بطوطة لوصف بغداد هو عين ما وصفه ابن جبير لها، ومن ذلك قوله: ((ثم نرجع إلى ذكر بغداد هي كما ذكرناه جانبان، شرقي، وغربي، ودجلة بينهما. فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه، وكان المعمور أولاً، وعمارة الجانب الشرقي محدثة، لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوى على سبع عشرة محلة، كل محلة منها مدينة مستقلة، وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثماني، منها بجوامع يصلح فيها الجمعة))<sup>(٣٧)</sup>.

لقد زار ابن جبير بغداد قبيل الغزو المغولي لها سنة خمسمائة وثمانين للهجرة، فوصفه لحال المدينة قبل الكارثة المغولية يمثل وثيقة تاريخية، يستطيع الباحث عبرها المقارنة بين حالها قبل وبعد الاحتلال المغولي<sup>(٣٨)</sup> ولكن لا يمكن المقارنة فيها مع رحلة ابن بطوطة لأنه لم يزد على كلام ابن جبير الكثير من التفاصيل سوى ما طرحه من ذكر قبور الخلفاء العباسيين، وإن على كل واحد منها اسمه وآخرهم قبر المستعصم الذي كان آخر خلفاء بني العباس والذي ذبحه المغول بالسيف أول دخولهم لبغداد، وبذلك الحدث كانت نهاية الدولة العباسية سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة<sup>(٣٩)</sup> إن وصف ابن بطوطة هو عين ما شاهده ابن جبير وسجله، وكأنما وقعت مشاهداته للمدينة بعين ابن جبير، فعلاقة النصوص علاقة تضمينية. يبدو أن السبب في ذلك أغلب الظن يرجع لتصرف ابن جزي، ما نريد الإشارة إليه هو تعرض الرحالتين لذكر قبور الأولياء من كلا المذهبين السني والشيوعي بمختلف مذاهبهم وفرقهم دون التشكيك بقبر أحدهم ذلك أن اليقين بتلك المشاهد والقبور عم الجميع، فلم نلاحظ عبارات من قبيل (يقال - يزعمون - الله أعلم بصحة ذلك) لأن الشك كما أشرنا له سابقاً كان عاطفياً، وإن تسرب إلى الشك بقبر أحدهم عم الجميع وهو أمر لا يرغب به الرحالة، فيطلق يقينه على الجميع.

انظر إلى عدد القبور التي ذكرها ابن جبير ترى ما كان منها نصوص تقع في إطار التضمين في رحلة ابن بطوطة، حيث قال: ((و بأحدى هذه المحلات قبر معروف الكوفي، وهو رجل من الصالحين، مشهور الذكر في الأولياء. وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حافل البنين داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا القبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي الجانب الغربي أيضاً قبر موسى بن جعفر (عليه السلام)، إلى مشاهد كثيرة لم نحضرنا اسم، من الأولياء والصالحين والسلف الكريم، (رضى الله عن جميعهم). وبأعلى الشرقية خارج البلد، محلة كبيرة بإزاء محلة الرصافة،..... فيه قبر الإمام أبي حنيفة (عليه السلام)، وبه تعرف المحلة. وبالقرب من تلك المحلة قبر الإمام أحمد بن حنبل (عليه السلام)، وفي تلك الجهة أيضاً قبر الإمام أبي بكر الشبلي رحمه الله، وقبر الحسين بن منصور الحلاج، وبغداد من قبور الصالحين كثير (رضى الله عنهم))<sup>(٤٠)</sup>.

فالتناص الخارجي بين الرحالتين تناص فكري وثقافي إضافة إلى التداخل والتعالق النصي في نصوص رحلتهم. فأغلب رحلة ابن بطوطة في الديار العربية الجهة المشرقية هي تضمين من رحلة ابن جبير، لا تكاد تلمح فيها اختلافاً إلا القليل الظاهري أو لنقل الشكلي المتمثل في اختلاف الألفاظ، لكن الإطار العام للنصوص واحد والمضمون واحد.

ثانيًا: التناص الداخلي أو المقيد.

إن نص الرحلة بنية سردية مكونة من أجزاء-نصوص مصغرة- تأتلف مع بعضها البعض مكونة وحدته الكلية ف(النص بنية شمولية لبني داخلية)<sup>(٤١)</sup> وهنا قد تتناص نصوص الرحلة مع بعضها يعني أن يتناص الرحالة مع ذاته فيكون التناص ذاتيًا، وهي العلاقة الحوارية التي تربط أجزاء النص الواحد بعضها مع البعض الآخر<sup>(٤٢)</sup>.

ومن أمثلة التناص الداخلي ما قدمه ابن جبير من وصف لأحوال المسلمين المتوجهين لحج بيت الله تعالى وما يلاقونه من عنت ومشقة، وسوء معاملة في موانئ مصر وبعض مدنها التي تقع على طريق الحجاج المتجهين إلى مكة المكرمة، ومنها قوله: ((وببلاد هذا الصعيد المعترضة في الطريق، للحجاج والمسافرين - كاخميم، وقوص، منية ابن الخصيب - من التعرض لمراكب المسافرين، وتكشفها والبحث عنها، وادخال الأيدي إلى أوساط التجار، فحسبًا عما تأبطوه أو احتضنوه من دراهم أو دنانير، ما يقبح سماعه، وتستشيع الأحداث عنه. كل ذلك برسم الزكاة، دون مراعاة لمحلها أو ما يدرك النصاب منها، حسبما ذكرناه في ذكر الإسكندرية من هذا المكتوب وربما الزموم الأيمان على ما بأيديهم، وهل عندهم غير ذلك، ويحضرون كتاب الله العزيز يقع اليمين عليه، فيقف الحجاج بين أيدي هؤلاء المتناولين لها مواقف خزي ومهانة تذكرهم أيام المكوس. وهذا أمر يقع القطع على أن صلاح الدين لا يعرفه، ولو عرفه لأمر بقطعه، كما أمر بقطع ما هو أعظم منه، ولجاهد المتناول له، فإن جهادهم من الواجبات، لما يصدر عنهم من التعسف، وعسير الإرهاق، وسوء المعاملة، مع غرباء انقطعوا إلى الله عز وجل، وخرجوا مهاجرين إلى حرمة الأمين ولو شاء الله لكانت هذه الخطة مندوحة في اقتضاء الزكاة، على أجمل الوجوه، من ذوي البضائع في التجارات، مع مراعاة رأس كل حول الذي هو محل الزكاة، وتجنب اعتراض الغرباء المنقطعين ممن تجب الزكاة له لا عليه، وكان يحافظ على جانب هذا السلطان العادل، الذي قد شمل البلاد عدله، وسار في الأفاق ذكره، ولا يسعى فيما يسيء الذكر بمن قد حسن الله ذكره، ويقبح المقالة في جانب من أجمل الله المقالة عنه))<sup>(٤٣)</sup>.

يكرر ابن جبير تفاصيل الحدث الذي وقع في صعيد مصر في المدن الواقعة على طريق الحج، فهو لم يكتف بتذكير القارئ بوقوع الحدث الأول في الإسكندرية وإنما يعيد سرد الأحداث وكأنها وقعت لأول مرة، وإن إعادة سرده للحدث لأنه يُعاد إنتاجه في كل مدينة يمر بها المسافرون إلى مكة المكرمة، وقد دل هذا التكرار على فداحة فعل الآخر وظلمه، ومدى تأثيره في نفس الأنا المسلم فالنص يصور بشاعة فعله في سلب الحقوق من أهلها بغير وجه حق، ويكرر المعنى بأكثر من عبارة مثل قوله: (دون مراعاة لمحلها أو ما يدرك النصاب منها) فهم يمارسون الضغط على المسافرين من حجاج وتجار لسلب ما بأيديهم من أموال وكل هذا تحت مسمى الزكاة فهم يتسترون بالدين لسرقة المسافرين، وهذا النص هو اللاحق.

أما النص السابق فقد كان يصف ميناء الإسكندرية وما يلاقه المسافرون من ظلم وعناء، فكان أول ما شهدته عند نزوله أن صعد إلى المركب موظفون في الدولة مسؤولون عن المكوس، أو ما يسمى بالجمارك في عصرنا، فيقول: ((طلع أمنا إلى المركب، من قبل السلطان، بها لتقييد جميع ما جلب فيه. فاستحضر جميع من كان فيه واحدًا واحدًا، وكتب أسماءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض\*، ليؤدي زكاة ذلك كله، دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل. وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة، لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم، فلزموا أداء زكاة ذلك دون أن

يسأل هل احال عليه حول أم لا.....وأمر المسلمون بتزليل أسبابهم، وما فضل من أزودتهم، وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم، ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان. فاستدعوا واحدا واحدا، وأحضر ما لكل واحد من الأسباب، والديوان قد غص بالزحام. فوقع التفتيش لجميع الأسباب ما دق منها وما جل، واختلط بعضها ببعض، وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثًا عما عسى أن يكون فيها، ثم استحلّفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا، وفي أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس، لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام، ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزي عظيم. نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك. وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير، المعروف بصلاح الدين، ولو علم بذلك - على ما يؤثر عنه من العدل، وإينار الرفق - لأزال ذلك، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة، واستؤدوا الزكاة على أجمل الوجوه. وما لقينا ببلاد هذا الرجل ما يلم به قبيح لبعض الذكر سوى هذه الأحدثة التي هي من نتائج عمال الدواوين<sup>(٤٤)</sup>.

لقد أبان ابن جبير حنقه وغضبه اتجاه الآخر المتسلط الذي يعمد إلى إهانة الحجاج وإذلالهم بشتى الوسائل طمعًا بالمال، فيفرضون الزكاة على المسلمين بغير وجه حق، وقد كرر عبارة (دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل) تأكيدًا على عدم معرفتهم بالدين وتعاليمه، ويؤكد كذلك على الظلم وعدم الإنصاف في التعامل مع الحاج المغلوب على أمره والذي يضطر إلى دفع الزكاة بغير إرادته إلى غير ذلك من سوء المعاملة والتي ينفي وقوع معرفة السلطان صلاح الدين بها، فهو ينزه سيرته في كل مرة يتكرر فيها الحدث وإن اختلف الزمان والمكان. لقد عمل التناص على الربط بين نصوص الرحلة والتأكيد على تسلسل الأحداث بالتذكير بالنصوص السابقة.

فتكرار الحدث في نص رحلة ابن جبير يعكس دلالات مهمة:

١. تسليط الضوء على حالات الظلم الاجتماعي التي يعاني منها المسافرون في هذا الطريق، مما يبرز التوترات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها المجتمع أثناء فترة الحروب الصليبية.
٢. توثيق الأحداث التاريخية، فالتكرار يساعد المتلقي على فهم السياق الاقتصادي والسياسي الذي كان سائدًا في ذلك الوقت.
٣. تجسيد الصراع الدائم بين السلطة وأفراد المجتمع، فتكرار الأحداث يبين الخلافات السياسية والاجتماعية، وحجم الفجوة السياسية والادارية بين السلطان صلاح الدين وعماله على الضرائب.
٤. الفساد الاداري: فهو يشير عبر التكرار إلى حجم الفساد الاداري الذي يصاحب جمع المكوس والضرائب من المسافرين والحجاج في مصر، مما يزيد معاناتهم في تلك الطريق.
٥. تأثير الرسوم والضرائب على المسافرين وخاصة الحجاج منهم، حيث أن تكرار ابن جبير لذكر الأحداث يُظهر كيف أن هذه المكوس تؤثر على مسيرة الحج والحجاج في هذا الطريق، فالتكرار هنا يعكس عمق التجربة الإنسانية في مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية، ويعزز من قيمة النص الأدبي كمرآة تعكس الواقع.

ومن أمثلة التناص الداخلي عند ابن بطوطة ذكره لسلطان تونس بتكرار صفات التبجيل له ولأبيه حيث يقول:

((كانت تونس في إيالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، علم الأعلام وأوحد الملوك الكرام،

أسد الآساد وجواد الأجواد، الفاتت الأواب الخاشع العادل أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الإسلام الذي سارت الأمثال بجوده، ونشره في الأقطار أثر فضله ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر، الملك العادل أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين، قاهر الكفار ومبيدها ومبدي عمل الجهاد ومعبيدها ناصر الايمان شديد السطوة في ذات الرحمان ازدهار الراكع الساجد المخاشع الصالح أبي يوسف ابن عبد الحق رضى الله عنهم أجمعين وأبقى الملك في عقيم الى يوم الدين<sup>(٤٥)</sup>.

قد ذكر ابن بطوطة عددًا من الصفات التي قد تكون جامعة للكمال الإنساني، جمعت كلها في شخص السلطان والذي تناص فيها الرّحالة مع صفات الأب، فالابن قد جمع من الصفات كل ما هو متفوق كما في قوله: (علم الأعلام -أسد الآساد -أجود الأجواد) والأب كذلك، وهذا التكرار داخل النص يمثل آلية من آليات التناس.

ويتناص ابن بطوطة مع مشاهداته في البلاد التي زارها لعقد مقارنات بين ما هو كائن في بلاده والبلاد الأخرى، كالمقارنة التي جعلها بين سلطان المغرب (أبي عنان المريني) وغيره من السلاطين ومنها قوله: ((ثم سافرت عن تازي فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة إلى حضرة فاس، فمثلت بين يدي مولانا الأعظم الامام الأكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابي عنان، وصل الله علوه، وكبت عدوه، فانستني هيئته هيبه سلطان العراق وحسنه حسن ملك الهند، و حسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن، وشجاعته شجاعة ملك الترك، وحلمه حلم ملك الروم، وديانته ديانة ملك تركستان، وعلمه علم ملك الجاوة<sup>(٤٦)</sup>). ففي النص إشارة لزيارات ابن بطوطة لتلك البلاد وللنصوص السابقة التي وصف فيها هؤلاء السلاطين الذي ميز كل منهم بسممة مختلفة عن الآخر، لكنه جمعها في سلطان المغرب، ويُلح من النص مدى تعلق الرّحالة للسلطان الذي يشبه تملق الشعراء المادحين.

وأما عن عدل السلطان المريني فيخبرنا ابن بطوطة أنه كان يطلع على المظالم بنفسه، ويأمر بقضائها للناس، ومن ذلك قول ابن بطوطة: ((أما عدله فأشهر من أن يسطر في كتاب، فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم، وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ومن وصلت نويتها نؤدي باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة فان كانت متظلمة عجل انصافها، او طالبة احسان وقع اسعافها، ثم اذا صُليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها، ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ما تعلق بالأحكام الشرعية وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام، ويظهر فيه مثل هذا العدل، فان ملك الهند عين بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور أربابها بين يديه<sup>(٤٧)</sup>.

قد تناص الرّحالة مع مشاهداته السابقة والتي تبين مدى تميز سلطان المغرب وتفوقه على الآخر، فالسلطان من شدة حرصه على إقامة العدل بين رعيته، تواضع وأشرف بنفسه على تلك الأعمال بينما الآخر متكبر وإن كان عادلاً.

وقد تناص ابن جزي كاتب الرحلة مع ابن بطوطة بنفس النص، فهو يعد مقال ابن بطوطة في ما وصف به السلطان أبا عنان من جلال حلمه، فهو يرى العجب منه، حيث يقول في ذلك: ((وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فإنه (أيده الله) عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه، وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جرائمهم الا من وثق بريه وعلم

علم اليقين معنى قوله تعالى: والعافين عن الناس قال ابن جزى: من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا (أيده الله) إنه منذ قدومي على بابة الكريم في آخر عام ثلاثة وخمسين إلى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين، لم أشاهد أحدا أمر بقتله الا من قتله الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاص، أو حرابة، هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف<sup>(٤٨)</sup>.

إن هذا التناسل بين الكاتب والرحالة هو تأكيد لكلام ابن بطوطة، لما عاينه من التزام السلطان حدود الله على اتساع ملكه ومملكته، فنص ابن جزى هو تكرار لنص ابن بطوطة فالفكرة واحدة وإن تغيرت الألفاظ، التعجب من حلم السلطان وحكمته واحد، لكن الاختلاف في المقارنة التي يعقدها الرحالة المطلع على أحوال الملوك والسلاطين في البلاد التي زارها، فيكون تعجبه أغنى في المعنى من تعجب الكاتب الذي لازم السلطان ولم يشهد غيره.

قد وظف الرحالة التناسل هنا لتأكيد الهوية الثقافية والدينية، فتداخل النصوص يعيد التأكيد على الهوية الإسلامية التي ينتهي إليها الرحالة في مواجهة التنوع الثقافي الذي يراه، فالتناسل يُفعل كأداة لإبراز الانتماء الشعوري للأنا، ويُستعمل لتعريف الذات وتحديد الآخر عبر إعادة تشكيل صورتها من خلال مقارنتها ب(الآخر)، ولتعزيز مركزية الذات الإسلامية في النص، فالرحالة يُذكر نفسه وقارنه بالمرجعية الحضارية التي ينتهي إليها.

#### الخاتمة:

لاشك أن دراسة التناسل مقترنة بدراسة النصوص النثرية أو الشعرية عن طريق علاقته الأنفتاحية بنصوص متعددة، إذ لا وجود لنص خام؛ مثلما يمثل نص الرحلة مجموعة من النصوص المتداخلة والمتفاعلة من قبل رحلات أخرى، كما فعل (ابن بطوطة) مع رحلة (ابن جبير)، كما لا يخفى علينا من أن مصطلح التناسل يقدم لنا تعددية مركبة في الصياغة والتشكيل تتغير دلالاته ومفهومه من قراءة لأخرى، حيث اللانهائية - لأفاق جديدة، كما نجد للتناسل ثمة إشارات بلاغية تتمحور داخل النصوص مما تؤدي إلى التنوع في العمل الإبداعي، مثلما تؤكد اختلاف المقصد. والمتأمل في نص الرحلتين، نجد أنها تخاطب القارئ المنتج الذي له يجب أن تكون له القدرة في فك شفرات النص، ذو المخزون الثقافي، العالق بين التاريخ والأدب والدين، على وفق قراءة منتجة تقدم الفكرة والرؤية في قالب تشكيلي سواء على مستوى التناسل الداخلي أو الخارجي.

أخذ التناسل في أدب الرحلة طابعًا خاصًا، إذ ترتبط الرحلة بالاطلاع على حضارات وثقافات مختلفة، مما يخلق أرضية خصبة لتفاعل النص الرحلي مع نصوص دينية، وتاريخية، وأدبية سابقة. وقد يظهر التناسل في صورة إشارات ثقافية أو مقارنة حضارية بين "الأنا" و"الآخر"، أو بين الماضي والحاضر. كما أنّ بعض الرحلات تعتمد على تراث رحلي سابق، فتقوم بإعادة صياغته أو البناء عليه، مما يعكس حضور التناسل التفاعلي بين الرحالة والنصوص التي قرأوها أو سمعوا بها وهذا ما يمنح النص الرحلي بعدًا تداوليًا وثقافيًا يتجاوز مجرد التسجيل الوصفي للوقائع.

فقد اختلفت توظيف التناسل بين الرحالتين حسب الكم المعرفي لكل منهما فرحلة ابن بطوطة تختلف في بعض جوانبها عن رحلة ابن جبير نظرًا لطبيعة شخصية ابن بطوطة الأكثر انفتاحًا على العجائبي والغرائبي، واتساع تجواله الجغرافي والثقافي،

ومع ذلك يظل التناص عنصرًا بنائياً في تشكيل رؤية الرحالة للعالم. وقد شكلت رحلة ابن جبير نواةً لرحلة ابن بطوطة في المشرق العربي لكثرة التناص الذي تضمنه نص رحلة الأخير مع سابقه ابن جبير وقد كان السبب في ذلك هو تصرف ابن جزي في سد الفراغات والفجوات في رحلة ابن بطوطة.

يُعد التناص في أدب الرحلة وسيلة مزدوجة: الأولى جمالية تُنمّي حس القارئ وتمنح النص بعداً فنياً عبر بناء جمالية سردية متعددة الطبقات، فتداخل النصوص يُشعر المتلقي أنه ينتقل ليس فقط عبر الجغرافية بل أيضاً عبر أنساق ثقافية متراكبة، والثانية سوسيوثقافية تُسهم في تثبيت المرجعية الثقافية والدينية ونقل الهوية وتوسيع الأفق الحضاري.

## المصادر

١. القرآن الكريم
٢. افتتاح النص الروائي ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط/٢:٢٠٠١.
٣. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب: ط/٣:١٩٩٢.
٤. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله حسين واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن: ١٤٣١هـ - ٢٠١١م.
٥. التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشي، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب: ٢٠٠٧.
٦. التناص في القرآن الكريم دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة، د. ياسر رضوان، افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب: ٢٠١٣.
٧. التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي، د. أحمد عدنان حمدي، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م
٨. حول بوطيقا العمل المفتوح قراءة في اختناقات العشق والصباح لإدور الخراط، سيزا قاسم، مقال في مجلة فصول، العدد: ٢: ١ مارس ١٩٨٤.
٩. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق قراءة نقدية لنموذج معاصر، د. عبدالله الغدامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٤: ١٩٩٨ م.
١٠. دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الدويلي د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط ٢: ٢٠٠٢ م.
١١. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بأبن بطوطة ، تقديم ودراسة ، د. يسري احمد زيدان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١٨.
١٢. رحلة ابن جبير ، ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير، ضبطه ووضع فهارسه دكتور محمد زينهم محمد عزب ، دار المعارف ، القاهرة - مصر : ٢٠٠٠م.
١٣. الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، شعيب حلفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المغرب: ٢٠٠٢.
١٤. صورة الأرض، ابي القاسم بن حوقل النصيبي، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان، ١٩٩٢.
١٥. صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي، محمد الخباز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان: ٢٠٠٩.
١٦. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء-المغرب: ط/١: ١٩٩١.
١٧. قاموس النقد الأدبي ، جويل جارد طامين و ماري كلود هوبر، ترجمة وتقييم وتعليق محمد بكاي.
١٨. مدخل إلى التناص، ناتالي بيبقي- غروس، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢.

١٩. مدخل إلى النص الجامع، جيرار جنيت، تعريب عبدالعزيز شبيل، ومراجعة حمادي صمود، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ١٩٩٩.
٢٠. ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان - ط ٢: ١٩٩٦.
٢١. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس المعروف الشريف الادريسي، عالم الكتاب بيروت - لبنان: ١٤٠٩ هـ.

## الهوامش

١. ينظر: قاموس النقد الأدبي، جويل جارد طامين و ماري كلود هوبر، ترجمة وتقييم وتعليق محمد بكّاي: ٢١٤.
٢. ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان - ط ٢: ١٩٩٦، ١٢٢.
٣. المصدر نفسه: ١٢٤-١٢٥.
٤. ينظر: مدخل إلى التناس، ناتالي ببيقي- غروس، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق: ١٤٣٣ هـ- ٣٥-٣٤: ٢٠١٢.
٥. المصدر نفسه: ٣٣.
٦. ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبدالجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب: ط/١: ١٩٩١: ٢٢.
٧. ينظر: التناس التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله حسين واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان- الاردن: ١٤٣١ هـ- ١١: ٢٠١١ م.
٨. ينظر: مدخل إلى النص الجامع، جيرار جنيت، تعريب عبدالعزيز شبيل، ومراجعة حمادي صمود، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: ١٩٩٩: ٧٠.
٩. ينظر: مدخل إلى التناس: ١٧-١٨.
١٠. ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب: ط/٣: ١٩٩٢: ١٢١.
١١. ينظر: التناس في القرآن الكريم دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة، د. ياسر رضوان، افريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب: ٢٠١٣: ٣٠.
١٢. انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط/٢: ٢٠٠١: ٩٨.
١٣. ينظر: التناس في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشي، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب: ٢٠٠٧: ٢٤.
١٤. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية نظرية وتطبيق قراءة نقدية لنموذج معاصر، د. عبدالله الغدّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٤: ١٩٩٨ م: ٩٢.
١٥. المصدر السابق: ٩١، ٣٢٧.
١٦. ينظر: حول بوطيقا العمل المفتوح قراءة في اختناقات العشق والصبح لإدور الخراط، سيزا قاسم، مقال في مجلة فصول، العدد: ٢: ١٩٨٤: ٢٣٦ مارس.
١٧. ينظر: انفتاح النص الروائي: ٩٥.
١٨. ينظر: حول بوطيقا العمل المفتوح: ٢٣٧.
١٩. الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، شعيب حلفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المغرب: ٢٠٠٢: ٦٧.

٢٠. رحلة ابن جبير ، ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير ، ضبطه ووضع فهرسه دكتور محمد زينهم محمد عزب ، دار المعارف ، القاهرة - مصر : ٢٠٠٠م : ٢١٩ .
٢١. رحلة ابن جبير: ١٠٢
٢٢. المصدر نفسه: ١٠٨
٢٣. صورة الأرض، ابي القاسم بن حوقل النصيبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٩٢: ١٢٢-١٢٣
٢٤. رحلة ابن جبير: ٢٥٦
٢٥. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس المعروف الشريف الادريسي، عالم الكتاب بيروت - لبنان: ١٤٠٩ هـ : ج / ٥٨٩-٥٩٠
٢٦. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بأبن بطوطة ، تقديم ودراسة ، د. يسري احمد زيدان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١٨ : ج / ١ : ١٧
٢٧. دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الدويلي د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ط٢: ٢٠٠٢ م: ١٢٢
٢٨. ينظر: صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي، محمد الخباز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان: ٢٠٠٩: ٥٣-٥٤
٢٩. رحلة ابن جبير: ١٧٦
٣٠. رحلة ابن بطوطة: ج / ١ : ١٣١
٣١. المصدر نفسه : ج / ١ : ١٣١
٣٢. رحلة ابن جبير: ١٧٦
٣٣. المصدر نفسه: ١٧٧
٣٤. رحلة ابن بطوطة: ج / ١ : ١٣٢
٣٥. رحلة ابن جبير : ٢٢٣
٣٦. رحلة ابن بطوطة: ج / ١ : ١٣٤-١٣٥
٣٧. رحلة ابن جبير: ١٨٥
٣٨. ينظر: المصدر نفسه: ١٣
٣٩. ينظر: رحلة ابن بطوطة: ج / ١ : ١٣٦
٤٠. رحلة ابن جبير: ١٨٦
٤١. الخطيئة والتكفير: ٩٢
٤٢. التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي، د. أحمد عدنان حمدي، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان-الاردن: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م: ٣٧، وانفتاح النص الروائي: ١٠٠
٤٣. رحلة ابن جبير: ٦٨-٦٩
٤٤. المصدر نفسه: ٥١ ، \* النَّاصِنُ: اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز.
٤٥. رحلة ابن بطوطة: ج / ٢ : ١٧٢
٤٦. المصدر نفسه: ١٧٣
٤٧. رحلة ابن بطوطة: ج / ٢ : ١٧٤
٤٨. المصدر نفسه